Buḥūth Online
مجلة محكمة تصدر إلكترونيا

وحدة النشر العلمي

بحوث

مجلة علمية محكمة

العلوم الإنسانية والإجتماعية

العدد 12 ديسمبر 2021- الجزء 1

ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

رئيس التحرير
أ.د/ أميرة أحمد يوسف
أستاذ النحو والصرف-قسم اللغة العربية
عميد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس

نائب رئيس التحرير
أ.د/ حنان محمد الشاعر
أستاذ تكنولوجيا التعليم-قسم تكنولوجيا التعليم والمعلومات
وكيل كلية البنات للدراسات العليا والبحوث
جامعة عين شمس

مدير التحرير
د. أسماء كمال عبدالوهاب عابدين
مدرس علم النفس
كلية البنات جامعة عين شمس

مسئول الرفع الإلكتروني:
م.م/ نجوى عزام أحمد فهمي
مدرس مساعد تكنولوجيا التعليم

سكرتارية التحرير:
م.م/ علياء حجازي
مدرس مساعد علم الإجتماع

مسئول التنسيق:
م/ دعاء فرج غريب عبد الباقي
معيدة تكنولوجيا التعليم

مجلة "بحوث" دورية علمية محكمة، تصدر عن كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بجامعة عين شمس حيث تعنى بنشر الإنتاج العلمي المتميز للباحثين.

مجالات النشر: اللغات وآدابها (اللغة العربية – اللغة الإنجليزية – اللغة الفرنسية-اللغة الألمانية-اللغات الشرقية) العلوم الاجتماعية والإنسانية (علم الاجتماع – علم النفس – الفلسفة – التاريخ – الجغرافيا).
العلوم التربوية (أصول التربية – المناهج وطرق التدريس-علم النفس التعليمي – تكنولوجيا التعليم –تربية الطفل)

التواصل عبر الإيميل الرسمي للمجلة:
buhuth.journals@women.asu.edu.eg

يتم استقبال الأبحاث الجديدة عبر الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://buhuth.journals.ekb.eg/

- ❖ حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات التربوية.
- ❖ حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات الأدبية.

تم فهرسة المجلة وتصنيفها في:
دار المنظومة– شمعة

البيروني مفسراً للتاريخ
(362ه/973م-443ه/1051م)

محمد أحمد عمر محمد
باحث ماجيستير-قسم التاريخ
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
mohamedomarainshams@gmail.com

أ.م.د آمال محمد حسن
قسم التاريخ-كلية البنات-جامعة عين شمس-مصر
Amalmohammed.hassan@women.asu.edu.eg

د. صفي علي محمد عبد الله
قسم التاريخ-كلية البنات-جامعة عين شمس-مصر
safy.ali@women.asu.edu.eg

المستخلص:

تتناول الدراسة إشكالية التفسير التاريخي عند البيروني (362ه/973م-443ه/1051م) وتميزه في هذا المجال ، وتوضح رؤيته التي اعتمدها في أعماله ومن أهم تلك الأعمال كتابيه الآثار الباقية، وتحقيق ما للهند من مقولة.

التفسير والتعليل والتأويل عند البيروني فقد تأثر بسمات عصره في مجال التفسير التاريخي؛ خاصة تلك النزعة العقلانية التي ظهرت واضحة في كل معالجاته تزن الأخبار التاريخية بعد تحقيقها، وتقف على عللها في دقة وموضوعية وحياد

ويظهر البحث رؤية البيروني المتسعة لتشمل الكون بأسره، فهو صاحب نظرة معرفية قدمت تفسيرا للفكر والمعتقد وضحت به العلاقة العضوية بين المحسوس والمعقول؛ فالعامي - في نظره -" نازع إلى المحسوس نافر عن المعقول"، وترى نوعا من التوحد في سائر جوانب المعرفة. لذلك يظهر البعد الإنساني واضحا في تطور فكره التاريخي.

لذلك يمكن اعتبار البيروني مبشرا ومطبقا في آن للرؤية الحضارية للتاريخ، تجلى ذلك في كتاب " تحقيق ما للهند من مقولة " حيث يعد تاريخا حضاريا للهند ، مقارنا حضارتها بحضارات الأمم الأخرى . قدم فيه البيروني رؤية تنظر إلى الأمم والشعوب المختلفة نظرة متوحدة ، تأسيسا على وجود مشترك إنساني عام في القيم والحضارة فهو القائل " فقد تساوت في هذا المعنى جميع الأمم".

المنهج المتبع للدراسة:

قمت بالاعتماد على المنهج التاريخي كما تطلب البحث أحيانا استخدام المنهج التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظواهر واستقرائها.

الكلمات الدالة: أبو الريحان البيروني، الفكر التاريخي ، التفسير التاريخي ، تاريخ المشرق الإسلامي.

مقدمة

تبلور الاتجاه إلى تفسير وتأويل التاريخ من منتصف القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي – إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وتزامن مع الازدهار الثقافي والمعرفي والتاريخي في تلك الفترة. حيث لم يعد المؤرخ يرضى بأن يكون إخباريا فقط يتحقق من مصادر الأخبار ومصداقيتها ويوردها كما هي دون أن يدلو بدلوه فيها، فيفسر أحداثها ووقائعها، ويكوّن من خلالها رؤية واضحة لما وراء تلك الأحداث ولو ارتضي المؤرخون ذلك وقتها لانتقص ذلك من كون التاريخ علم، وانتزع منه صفة العلمية لأن تفسير الظواهر والوصول إلى حقيقتها هي أسمى أغراض العلم والهدف النهائي له (محمود إسماعيل ، 2001م ، ص (50-41).

تطور الفكر التاريخي خلال ذلك العصر في مجال الرؤية والتأويل والتفسير ، ومن أهم ملامح هذا التطور الاعتماد على العقل في مجال التفسير (عبد العزيز عزت، 1964م، ص92)، حيث عرف البعض علم التاريخ بأنه "علم علل الأحوال"(الروذراوري، (د.ت)، ص5)، كذلك اتسعت رؤى مؤرخي ذلك العصر لتجمع الكون كله في وحدة كلية واحدة ، ومن الذين عبروا عن هذه الرؤية إلى جانب البيروني : المؤرخ مسكويه والمطهر المقدسي حين قال:" فالناظر في كتابنا هذا كالمشرف المطلع على العالم مشاهدا حركاته وعجيب أفعال"(المطهر المقدسي: د.ت، ج1، ص17).

تبلور الاتجاه إلى تفسير وتأويل التاريخ من منتصف القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي – إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وتزامن مع الازدهار الثقافي والمعرفي والتاريخي في تلك الفترة. حيث لم يعد المؤرخ يرضى بأن يكون إخباريا فقط يتحقق من مصادر الأخبار ومصداقيتها ويوردها كما هي دون أن يدلو بدلوه فيها، فيفسر أحداثها ووقائعها، ويكوّن من خلالها رؤية واضحة لما وراء تلك الأحداث ولو ارتضي المؤرخون ذلك وقتها لانتقص ذلك من كون التاريخ علم، وانتزع منه صفة العلمية لأن تفسير الظواهر والوصول إلى حقيقتها هي أسمى أغراض العلم والهدف النهائي له (محمود إسماعيل ، 2001م ، ص41-50) .

تطور الفكر التاريخي خلال ذلك العصر في مجال الرؤية والتأويل والتفسير ، ومن أهم ملامح هذا التطور الاعتماد على العقل في مجال التفسير (عبد العزيز عزت، 1964م، ص92)، حيث عرف البعض علم التاريخ بأنه "علم علل الأحوال"(الروذراوري، (د.ت)، ص5)، كذلك اتسعت رؤى مؤرخي ذلك العصر لتجمع الكون كله في وحدة كلية واحدة ، ومن الذين عبروا عن هذه الرؤية إلى جانب البيروني : المؤرخ مسكويه والمطهر المقدسي حين قال:" فالناظر في كتابنا هذا كالمشرف المطلع على العالم مشاهدا حركاته وعجيب أفعال"(المطهر المقدسي: د.ت، ج1، ص17).

التفسير والتعليل والتأويل عند البيروني:

أما عن التفسير والتعليل والتأويل عند البيروني فقد تأثر بسمات عصره في مجال التفسير التاريخي؛ خاصة تلك النزعة العقلانية التي ظهرت واضحة في كل معالجاته تزن الأخبار التاريخية بعد تحقيقها، وتقف على عللها في دقة وموضوعية وحياد(عفت الشرقاوي : 1973 م، ص299) ٠
اتسمت كذلك رؤيته بالاتساع لتشمل الكون بأسره، فهو صاحب نظرة معرفية قدمت تفسيرا للفكر والمعتقد وضحت به العلاقة العضوية بين المحسوس والمعقول؛ فالعامي - في نظره -" نازع إلى المحسوس نافر عن المعقول" (البيروني: 1958م، ص84)، وترى نوعا من التوحد في سائر جوانب المعرفة. لذلك يظهر البعد الإنساني واضحا في تطور فكره التاريخي(محمود إسماعيل : 2000م ،ص170).

لذلك يمكن اعتبار البيروني مبشرا ومطبقا في آن للرؤية الحضارية للتاريخ، تجلى ذلك في كتاب " تحقيق ما للهند من مقولة " حيث يعد تاريخا حضاريا للهند ، مقارنا حضارتها بحضارات الأمم الأخرى . قدم فيه البيروني رؤية تنظر إلى الأمم والشعوب المختلفة نظرة متوحدة ، تأسيسا على وجود مشترك إنساني عام في القيم والحضارة فهو القائل" فقد تساوت في هذا المعنى جميع الأمم"(البيروني: 1958م، ص155).

ظهرت عند البيروني قيمة العقل النقدي في تفسيراته الجزئية أو الكلية ، وحسبنا أن عناوين كتبه التاريخية تؤكد هذا المعنى بوضوح. فقد نفى التفسيرات غير العلمية لبعض الظواهر الطبيعية العجيبة والتي تقول بأن هذه الظواهر هي سحر وخلافه وأرجعها لأسباب علمية منطقية متعلقة بالجغرافية والمناخ وطبيعة الأرض فقال:" يبلغ من رطوبة جبال طبرستان أنّه: يدقّ الثوم في قلالها، فيجئ المطر؛ وقد علّل هذا الباب، النائب الآمليّ صاحب كتاب الغرّة، بأن قال: إنّ هواءها رطب متكاثف ببخارات راكدة، فإذا انتشرت رائحة الثوم في خلالها، حلّلت بحدّتها وعصرت تكاثف الهواء، فلذلك يعقبه المطر(البيروني: د.ت ،ص307).

هنا يبدأ البيروني مناقشة وتفسير هذا الرأي مناقشة علمية بحته فيقول:" وهب أنّ هذه علّة، ما يظهر من دقّ الثوم(البيروني: د.ت ،ص307)، أي -اذا افترضنا أن سبب الظاهرة هي دق الثوم - ؛ فما هي أسباب الظواهر الأخرى العجيبة "مثل العين المعروفة في جبال فرغانة...،وفي الدّكّان، المعروف بدكّان سليمان بن داود، وفي المغارة المعروفة بأصبهبذان... وفى الجبل الذى بأرض الترك"،وأرجع سبب هذه الظواهر إلى "خاصّيّات مطبوعة في الموجودات، ينتهي أسبابها الى الجواهر البسيطة، وأوّل التأليف والخلق؛ وما كان كذلك، لم يمكن الوصول إلى علمه. ومن البقاع، ما هي على خلاف جبال طبرستان، كفسطاط مصر...؛ فإنّها لا تمطر، واذا مطرت، فسد هواءها، ووبئ وأضرّ ذلك بالحيوان والنبات؛ والأمر في أمثال ذلك، متعلّق بطبيعة الموضع، ومحلّه من الجبال والبحار ومكانه من الارض، في الارتفاع والانخفاض، ومقدار عرضه في الشمال والجنوب(البيروني: د.ت ،ص308).

فسر البيروني في موضع آخر ظاهرة الانقلاب الشتوي التي تحدث في شهر نوفمبر واستعرض الأخبار التي حدثت في هذا التوقيت قائلا: "يسمّون هذا اليوم «الميلاد» الأكبر، يعنون الانقلاب الشتوي؛ ويقولون أن فيه، يخرج النور من حدّ النقصان الى حدّ الزيادة... وقال كعب الأحبار: أنّه ردّت فيه الشمس على يوشع بن نون، ثلاث ساعات زمانية ؛ ومثل ذلك في ردّها، يحكيه بله الشيعة في أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب - عليه السلام"(البيروني: د.ت ،ص310).

ثم عقب على هذه الأخبار مشككا فيها ومفسراً سبب حدوثها – إن كان لها أصل- لأسباب نفسية من أوهام وغيرها و عضوية كالتعب الشديد لمن توهم أنه شاهد مثل هذه الأحداث قائلا: "ولئن كان لهذا أصل، فقد توهّم من قد استطال مدّة الشدّة - التي - حلّت به؛ واستبطأ انكشافها عنه(البيروني: د.ت ،ص311).

كذلك ضرب البيروني لنا مثالاً ينم عن قدرته كمفسر للتاريخ مستخدماً معرفته الأدبية وثقافته التاريخية فاستشهد ببيت شعر لعلي بن الجهم(188ه-249ه) فقال: "كعلىّ بن الجهم، وقد خرج في غزوة الروم وأثخن، فأسهرته ليلته، فقال: «أسال بالصّبح سيل / أم زيد في الليل ليل». ثمّ لمّا يأتيه الفرج، لم يخل عن أوهام أباطيل، او تمويهات أضاليل(البيروني: د.ت ،ص311) ؛ ثم يضيف سببا آخر يفسر هذه الظاهرة فيقول:" ويقع كثيرا مثله- أي مثل هذه الأوهام- في ايّام الصوم، اذا تغيّمت اواخرها، وأظلمت، حتّى يفطر الناس؛ ثمّ ينكشف الغيوم، أو ينجلي بعضها، والشمس فوق الارض غير غاربة(البيروني: د.ت ،ص311).

كذلك قدم البيروني تفسيرات لوجود بعض الأحداث العجيبة التي ورد ذكرها عند اليهود فقال: "ويتعلّق ببطلان العمل في السبت، أشياء يتعجّب منها... ما حكى الجيهانىّ في كتاب المسالك والممالك: أنّ في شرقي مدينة الطبريّة، مدينة بلىناس، ومنها منبع الأردنّ، وعليه أرحية، تقف يوم السبت، ولا تطحن لنضوب مائها، حتّى ينقضي يوم السبت(البيروني: د.ت ،ص352).

وعلق على هذه الظاهرة مفسراً: "ولا أجد لهذا في الطبيعيّات مأخذا، لانّ مداره على اسابيع الايّام؛ فأما ما كان على السنين، فيعلّل من الشمس وشعاعه، وما كان على الشهور، فمن القمر وضيائه؛ كما كان المذبح المحرق للقرابين، في يوم معلوم واحد من السنة ببلاد يونان، معمولا بشعاع الشمس المنعكسة، المجتمعة في موضع من المذبح، وأمثال ذلك"(البيروني: د.ت ،ص352) .

من التفسيرات العلمية للأخبار التي تظهر النزعة النقدية العلمية عند البيروني مناقشته لخبر توجيه بعثة لمشاهدة موضع أهل الكهف(سورة الكهف:الآيات 8-22)، وتفسيره لذلك أن يكون الزيادة في أعداد الجثامين الموجودة في الكهف تعود لرهبان خدموا هناك وفسر عدم تحلل أجسادهم لأسباب علمية قائلا : "وجّه المعتصم مع رسوله الى ملك الروم، من شاهد موضعهم ولمسهم بيده؛ والخبر معروف، وإن كان اللامس - وهو محمّد بن موسى بن شاكر - يشكّك في انّهم: هم ام اموات أخر، وأمر مموّه. وحكى علىّ بن يحيى المنجّم: انّه لمّا قفل من غزاته، دخل ذلك الموضع، وهو جبل صغير... وذكر يحيى انّه: رأى هنالك ثلاثة عشر رجلا، وفيهم غلام أمرد، عليهم جباب صوف وأكسية صوف، وخفاف ونعال، وتناول شعرات في جبهة أحدهم، ومدّها فما تبعه منها شيء؛ والزيادة على السبعة عند المسلمين، والثمانية عند النصارى، ربّما كانت من رهابنة ماتوا (البيروني: د.ت ،ص360) .

فسر البيروني عدم تحلل أجساد هؤلاء الرهابنة المدفونون إلى جوار أهل الكهف هناك؛ قائلا بأنّ أجساد الرهابنة - خاصّة - تبقى طويلا، لأنّهم يعذّبون أنفسهم، حتّى تفنى رطوباتهم، ولا يبقى بين عظامهم، وجلودهم واسطة إلاّ قليلا، فيخمدون خمود السراج، اذا انطفت مادّته؛ وربّما يبقون متّكئين على عصيّهم أحقابا، وذلك أمر مشاهد في دياراتهم(البيروني: د.ت ،ص361) .

أما عن التفسير الحضاري للتاريخ عند البيروني فقد قدم تفسيراً اعتمد على التجربة الإنسانية والتي أساسها الوقائع العيانية مستفيدا من دراساته في الطبيعيات في صياغة منظوره. كما دعمه ببعد فلسفي، جامعا بين الفلسفة والعلوم البحتة والتاريخ؛ وفي هذا الصدد توصل إلى آراء جد هامة في فلسفة التاريخ.

استخدم البيروني التفسير الحضاري في دراسة كل الحضارات وأولها الحضارة الإسلامية فقد فسر سبب الاختلافات الكبيرة في تاريخ مولد النبي محمد ووفاته وأيضا في تاريخ الهجرة إلى محاولات خصوم الإسلام النيل من مصداقيته فقال عن ذلك:" ولست أشكّ أن هذه الاختلافات، قد تعمّدت للتخيير وايراد الشبه"(البيروني:د.ت،ص424) .

كما فسر البيروني تأثير الديانات السماوية في حياة الناس في بلاد الشام وأن من إنجازات هذا التأثير أنها كانت السبب في أنهم أول من عرف التأريخ بالأسابيع متأثرين بالكتب السماوية بينما لم يستعملها غيرهم من أهل الديانات الأخرى فقال عن شهور الفرس وخوارزم وأهل السغد:" وما كانوا أيّام ملكهم يستعملون الأسابيع، فإنّ اوّل استعمالها لأهل المغرب، وخاصّة لأهل الشأم وحواليه، بسبب ظهور الأنبياء فيه، وإخبارهم عن الأسبوع الاوّل وبدو العالم فيه، على مثل ما افتتحت به التوراة. ثمّ انتشر ذلك منهم في سائر الأمم، واستعمله العرب العاربة، بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشأم، وتصاقب مراكزهم، وتعرّب إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام"(البيروني:د.ت،ص57).

كذلك رصد البيروني التأثيرات الخطيرة للاضطرابات السياسية والاجتماعية على المجتمع وقدم تفسيرات لها حينما تناول تواريخ اليهود فأوضح الكم الهائل من الاختلافات التي وقعت في تواريخ اليهود وعدَّدها وفسر هذه الاختلافات بما وقع لهم قائلا: "و غير مستنكر أن يقع مثل هذا الاختلاف لقوم، وقع لهم من السّبى والقتل والإبارة مرارا - ما وقع لبنى اسرائيل -، بل الأقرب والأولى أن يشتغلوا عن ذلك بغيره، حين ذهلت كلّ مرضعة فيهم عمّا أرضعت... ولم تكن الولايات والرئاسات في سبط واحد، لكنّها تشعّبت بعد موت سليمان بن داود...ثمّ لم يكونوا من ترتيب السياسة، ونظم الملك، والرئاسة، بحيث يحوجهم ذلك الى حفظ أوقات قيام كلّ واحد منهم، وتدوين مددهم، إلاّ بالجليل من الحساب"(البيروني:د.ت،ص87) .

برز التفسير الحضاري عند البيروني بجلاء عند دراسته للحضارة الهندية ففسر به أسباب القطيعة الحضارية بين الحضارتين الاسلامية والهندية تفسيرا عميقا استند إلى بحث مفصل للمسألة واضعا يده على الأسباب الحقيقية التي أدت الى هذه القطيعة فقال: "يجب أن نتصوّر أمام مقصودنا الأحوال التي لها يتعذّر استشفاف أمور الهند، فإما أن يسهل بمعرفتها الأمر وإمّا أن يتمهّد له العذر، وهو أنّ القطيعة تخفي ما تبديه الوصلة"(البيروني:1958م،ص17) .

قدم البيروني أسباب تلك القطيعة الحضارية بين الأمتين الهندية والاسلامية ومنها اختلاف اللغة، فقال: "ولها فيما بيننا أسباب: منها أنّ القوم يباينوننا بجميع ما يشترك فيه الأمم، وأوّلها اللغة وإن تباينت الأمم بمثلها ومتى رامها احد لإزالة المباينة لم يسهل ذلك لأنّها في ذاتها طويلة عريضة تشابه العربيّة يتسمّى الشيء الواحد فيها بعدّة أسام مقتضبة ومشتقّة،... ويفتخرون بذلك افتخار غيرهم به من حيث هو بالحقيقة عيب في اللغة؛... ثم هي مركّبة من حروف لا يطابق بعضها حروف العربيّة والفارسيّة ولا تشابهها بل لا تكاد ألسنتنا ولهواتنا تنقاد لاخراجها على حقيقة مخارجها ولا آذاننا تسمع بتمييزها من نظائرها وأشباهها ولا أيدينا في الكتبة لحكايتها، فيتعذّر بذلك إثبات شيء من لغتهم بخطّنا...؛ هذا مع عدم اهتمام الناسخين لها وقلّة اكتراثهم بالتصحيح والمعارضة حتى يضيع الاجتهاد، ويفسد الكتاب في نقل له أو نقلين ويصير ما فيه لغة جديدة لا يهتدي لها داخل أو خارج من كلتى الأمّتين...،فهذا من الأسباب التي تعسّر الوقوف على ما عندهم.(البيروني:1958م،ص17-18)

كما فسر اختلاف الديانة :"ومنها أنهم يباينوننا بالديانة مباينة كلّيّة لا يقع منّا شيء من الإقرار بما عندهم ولا منهم بشيء مما عندنا،... وليسوا مع من عداهم بهذه الوتيرة وإنما يسمّونه «مليج» وهو القذر لا يستجيزون مخالطته في مناكحة ومقاربة أو مجالسة ومؤاكلة ومشاربة من جهة النجاسة... ثمّ لا مطمع في صلاح ذلك بحيلة كما يطهر النجس بالانحياز إلى حال الطهارة، فليس بمطلق لهم قبول من ليس منهم إذا رغب فيهم أو صبا إلى دينهم، وهذا ممّا يفسخ كلّ وصلة ويوجب أشدّ قطيعة(البيروني،1958م،ص17-21) .

وتناول اختلاف العادات :" ومنها أنّهم يباينوننا في الرسوم والعادات حتى كادوا أن يخوّفوا ولدانهم بنا وبزيّنا وهيآتنا وينسبوننا إلى الشيطنة وإيّاها إلى عكس الواجب،وإن كانت هذه النسبة لنا مطلقة وفيما بيننا بل وبين الأمم بأسرهم مشتركة؛ومما زاد في النفار والمباينة أنّ الفرقة المعروفة بالشمنيّة على شدّة البغضاء منهم للبراهمة هم أقرب إلى الهند من غيرهم، وقد كانت خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام في القديم على دينهم إلى أن نجم «زردشت» من أذربيجان ودعا ببلخ إلى المجوسيّة وراجت دعوته في بلاد المشرق والمغرب قهرا وصلحا... فانجلت «الشمنّية» إلى مشارق بلخ... وكان ذلك بدو النفار عن جنبة خراسان فيهم إلى أن جاء الإسلام وذهبت دولة الفرس، فزادهم غزو أرضهم استيحاشا لمّا دخل محمّد بن القاسم بن المنبّه أرض السّند...وأوغل في بلاد الهند...؛ وغرس ذلك في قلوبهم السخائم،... إلى أيّام الترك حين تملكوا بغزنه في أيّام السامانيّة ونابت الدولة ناصر الدين سبكتكين فآثر الغزو وتلقّب به وطرّق لمن بعده في توهين جانب الهند طرقا سلكها يمين الدولة محمود رحمهما الله نيّفا وثلاثين سنة فأباد بها خضرآءهم ... فبقيت بقاياهم المتشرّدة على غاية التنافر والتباعد عن المسلمين بل كان ذلك سبب انمحاق علومهم عن الحدود المفتتحة وانجلائها إلى حيث لا يصل إليه اليد بعد من كشمير وبانارسي وأمثالهما مع استحكام القطيعة فيها مع جميع الأجانب بموجب السياسة والديانة(البيروني،1958م،ص17-21).

قدم البيروني أيضا أسباب للقطيعة بين الهنود وبين الحضارات الأخرى تتعلق بصفات وطباع خاصة بهذه الأمة و تتعلق بنظرتهم للعالم:" أنّهم يعتقدون في الأرض أنّها أرضهم وفي الناس أنّهم جنسهم وفي الملوك أنّهم رؤساؤهم وفي الدين أنّه نحلتهم وفي العلم أنّه ما معهم فيترفّعون ويتبظرمون ويعجبون بأنفسهم فيجهلون، وفي طباعهم الضنّ بما يعرفونه والإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيرهم، على أنّهم لا يظنّون أنّ في الأرض غير بلدانهم وفي الناس غير سكّانها وأنّ للخلق

غيرهم علما حتى أنّهم إن حدّثوا بعلم أو عالم في خراسان وفارس استجهلوا المخبر ولم يصدّقوه للآفة المذكورة، ولو أنّهم سافروا وخالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم(البيروني،1958م،ص17-21).

تعمق البيروني أكثر في دراسة الحضارة الهندية حتى استطاع أن يقدم لنا تفسيرات دقيقة لطبيعة التفكير والاختلاف بين الخواص والعوام من الهنود حتى في العقيدة، وضرب لنا مثلا في اختلاف الخواص والعوام في اعتقادهم في ذات الله وأرجع ذلك إلى طبيعة كل فئة وأن ذلك الاختلاف موجود في كافة الحضارات وليس مقصورا فقط على الهنود فقال:" إنّما اختلف اعتقاد الخاصّ والعامّ في كلّ أمّة بسبب أنّ طباع الخاصّة ينازع المعقول ويقصد التحقيق في الأصول، وطباع العامّة يقف عند المحسوس ويقتنع بالفروع ولا يروم التدقيق وخاصّة فيما افتنّت فيه الآراء ولم يتّفق عليه الأهواء.

قدم البيروني رؤيته وتفسيره لحركة التاريخ من خلال صراع الطبقات، حيث فسر الصراع الطبقي من منظور اقتصادي - اجتماعي؛ تتأسس وفقا لمعيار حيازة الثروة. ورصد لتأثير التقسيم الطبقي للمجتمع في الأحداث التاريخية تماشيا مع فكرة أن الطبقات نتاج " عمل أو صناعة أو حرفة "(البيروني،1958م،ص76) .

كما فسر البيروني سبب تمايز المجتمع الهندي إلى طبقات اعتبرتها العقلية الهندية أحد دعائم الدولة والتي يقوم عليها الملك فقال:"كلّ أمر صدر عن مستهتر طبعا بالسياسة، مستحقّ بفضله وقوّته للرئاسة، ثابت الرأي والعزيمة، معان بدولة في الأخلاف... فقد تأكّد ذلك الأمر عند مأمور به تأكّد الجبال الرواسي وبقي فيهم مطاعا في الأعقاب على كرور الأيّام ومرور الأحقاب، ثمّ إن استند ذلك إلى جانب من جوانب ملّة فقد توافى فيه التوأمان وكمل الأمر باجتماع الملك والدين وليس وراء الكمال غاية تقصد؛ وقد كان الملوك القدماء المعنيّون بصناعتهم يصرفون معظم اهتمامهم إلى تصنيف الناس طبقات ومراتب يحفظونها عن التمازج والتهارج ويحظرون الاختلاط عليهم بسببها ويلزمون كلّ طبقة ما إليها من عمل أو صناعة وحرفة ولا يرخّصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف بطبقته"(البيروني،1958م،ص75) .

ثم بين البيروني أن حرص الملوك على تقسيم المجتمع لطبقات ليس قاصرا على الحضارة الهندية فقط بل لها وجود في الحضارات الأخرى مثل الحضارة الفارسية فقال:" وسير أوائل الأكاسرة تفصح بذلك فلهم فيه آثار قويّة لم يقدح فيه تقرّب بخدمة ولا توسّل برشوة حتى أنّ «أردشير بن بابك» عند تجديده ملك فارس جدّد الطبقات وجعل الأساورة وأبناء الملوك في أولاها، والنسّاك وسدنة النيران وأرباب الدين في ثانيتها، والأطبّاء والمنجّمين وأصحاب العلوم في ثالثتها، والزرّاع والصنّاع في رابعتها، على مراتب في كلّ واحدة منها تميّز الأنواع في أجناسها على حدة بحيالها(البيروني،1958م،ص75).

ثم يتابع البيروني مبينا أن نظام الطبقات الهندي ما يزال قائما إلى زمانه، ومقدسا محترما حتى أصبح من أهم أسباب الاختلافات القوية بين الحضارتين الهندية والإسلامية فقال :"وللهند في أيّامنا من ذلك أوفر الحظوظ حتى أنّ مخالفتنا إيّاهم وتسويتنا بين الكافّة إلّا بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام" .

علل البيروني رسوخ النظام الطبقي في المجتمع الهندي واحترامه بشدة لتأييد الديانة الهندية لهذا النظام وتأصيلها له ،ودلل على ذلك التفسير بما ورد في نصوص هندية مقدسة من أن الآلهة تعاقب أحد الملوك وسبب ذلك ليتخلى عن فكرة المساواة بين الناس التي أراد تطبيقها والتي هي من وجهة نظر الديانة الهندية تهدم المجتمع ولا تحقق له الاستقرار، فعاقبت الآلهة الملك "ليزول ما يرومه من التساوي من الناس وليتفاضلوا في الحال فينتظم العالم بذلك،ولينصرفوا عن عبادته إلى عبادتي والإيمان بي، وكما أنّ تعاون المتمدّنين لا يكون إلّا مع التفاضل ليحتاج أحدهم الى الآخر كذلك خلق الله العالم مختلف الطباع متفاوت البقاع"(البيروني،1958م،ص422)،ويفهم من هذا الإقتباس أن البيروني قد أضاف لأسباب ظاهرة

التقسيم الطبقي في المجتمع الهندي أصلاً دينيا حثت عليه الديانة البرهمية السائدة في الهند بهدف انتظام العالم.

فسر البيروني ظاهرة تحريم لحوم البقر في الهند وهي من الظواهر الاجتماعية السائدة في الهند وذكر الأقوال الواردة في تحريم لحوم البقر فقال:" وقد قال بعضهم انّ البقر كان قبل «بهارث» مباحا...إلّا انّه حرّم بعد بهارث لضعف طباع الناس عن القيام بالواجبات"(البيروني،1958م، ص426-427)، ورجح أن هذا التحريم ليس له أصل ديني قائلا:" وهذا كلام قليل المحصول فإنّ تحريم البقر ليس بتخفيف ورخصة وإنّما هو تشديد وتضييق"(البيروني،1958م، ص426-427).

ثم ذكر تفسيراً آخر سمعه في سبب ذلك التحريم فقال : وسمعت غير هؤلاء يقولون انّ البراهمة كانت تتأذّى بأكل لحمان البقر، لأنّ بلادهم جروم وبواطن الأبدان فيها باردة...والقوّة الهاضمة ضعيفة يقوّونها بأكل اوراق التنبول عقب الطعام ... ولمّا كان كذلك حظروه للغلظ والبرودة(البيروني،1958م، ص426-427) .

وأرجع سبب وجود هذه الظاهرة إلى أسباب أخرى سياسية واقتصادية فقال: ، وأنا اظنّ في ذلك أحد أمرين، إمّا السياسة فإنّ البقر هي الحيوان الذي يخدم في الأسفار بنقل الأحمال والأثقال وفي الفلاحة بالكرب والزراعة...فحرّم كما حرّمه الحجّاج لمّا شكى إليه خراب السواد، وحُكيَ لي أنّ في بعض كتبهم: أنّ الأشياء كلّها شيء واحد وفي الحظر والإباحة سواسية، وإنّما تختلف بسبب العجز والقدرة، فالذئب يقتدر على حطم الشاة فهي أكلته والشاة تعجز عنه وقد صارت فريسته، ووجدت في كتبهم ما شهد بمثله (البيروني،1958م، ص426-427) .

فسر لنا البيروني ظاهرة اجتماعية أخرى في الهند وهي إباحة الزنا لدى الهنود وبين لنا أنه ليس مباحا ولكنهم لا يشددون العقوبة فيه،وأن التساهل فيه لغرض اجتماعي و اقتصادي أراده ملوكهم،فقال في تفسير ذلك:" ويظنّ الناس بالزناء انّه مباح عندهم،... وليس الأمر عندهم كما يظنّ ولكنّهم لا يشدّدون في العقوبة عليه، والآفة فيه من جهة ملوكهم، فإنّ اللواتي تكنّ في بيوت الأصنام هنّ للغناء والرقص واللعب لا يرضى منهنّ «برهمن» ولا سادن بغير ذلك، ولكنّ ملوكهم جعلوهنّ زينة للبلاد وفرحا وتوسعة على العباد، وغرضهم فيهنّ بيت المال ورجوع ما يخرج منه الى الجند اليه من الحدود والضرائب"(البيروني،1958م،ص430).

كما كان البيروني على وعي تام بأهمية إعمال مبدأ الحياد والموضوعية في الكتابات التاريخية(رياض حمودة ،2015م ،ص497)، وأكد على أهمية أن يكون المؤرخ محايدا بعيدا عن التعصب لقوله:" بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لأكثر الخلق والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك"(البيروني،د.ت،ص5).

أشار أيضا البيروني في خاتمة كتابه تحقيق ما للهند من مقولة إلى أهمية الالتزام بالحياد وتجنب الميل لحساب فريق دون آخر فقال:" ولكن من راعى ما شرطته في أول الكتاب من الوقوف على وسط طرفي التفريط والإفراط ولزوم الاعتدال للاحتياط""(البيروني،د.ت،ص45).

تحدث البيروني عن أهمية الحياد والموضوعية كأساس للمعرفة التاريخية بعيدا عن التعصب لرأي دون أخر لاعتبارات مذهبية أو قبلية(رياض حمودة ،2015م ،ص497) ، والتي تحول دون المصداقية في الأخبار التاريخية.

لم يكن البيروني منظراً فقط لمبدأ الحياد والموضوعية بل طبقه في مؤلفاته التاريخية،فوجه انتقاده لبعض المؤرخين اللذين ظهر لديهم نزعة قومية،أمثال ابن قتيبة(213هـ-276هـ/828م-889م) لميله الشديدللعرب، وحمزة الأصفهاني(280 ه - 360 هـ /893م- 970 م) لميله للفرس ولمثل هذا تعرّض حمزة ابن الحسن الأصفهاني في رسالته في النّيروز، حين تعصّب للفرس في عملهم في سنة الشمس" (البيروني،د.ت،ص60) ، كذلك استرشد بمبادئ الحياد والموضوعية عندما كتب عن تاريخ الهند وعلى

سبيل المثال لم يأخذ بالأخبار التي كتبها سابقوه في تواريخهم العالمية لعدم التحقق من صحتها، كما أهمل الأخذ بمسموع العوام(البيروني،د.ت،ص5)، ووضع في الاعتبار معطيات الواقع الهندي الذي لم يفطن إليها سابقوه ومعاصروه؛ فجاءت كتاباتهم عديمة القيمة . وتتلخص تلك المعطيات في كون الهنود متباينين في الديانة وفي الرسوم والعادات (البيروني،د.ت،ص13-18) .

التزم البيروني أيضا بالحياد والموضوعيةعندما قال: ولست أفرد الهند بالتوبيخ على الجاهلية ، فقد كان العرب في مثلها يرتكبون العظائم"(البيروني،1958م،ص148).

كذلك اعترف البيروني بقيمة الشخصية الهندية وقدرتها العلمية وبالمقابل، انتقد الهندوس وادعاءهم التفوق واحتكارهم المعرفة(البيروني،1958م،ص17).

الخاتمة واستخلاص النتائج

نستخلص مما سبق أنه قد ظهر الاتجاه إلى تفسير التاريخ في منتصف القرن الرابع الهجري /التاسع الميلادي - الخامس الهجري/العاشر الميلادي، وتزامن مع الازدهار الثقافي والمعرفي والتاريخي في تلك الفترة. حيث لم يعد المؤرخ يرضى بأن يكون إخباريا فقط.

تطور الفكر التاريخي خلال ذلك العصر في مجال الرؤية والتأويل والتفسير ، ومن أهم ملامح هذا التطور الاعتماد على العقل في مجال التفسير، كذلك اتسعت رؤى مؤرخي ذلك العصر لتجمع الكون كله في وحدة كلية واحدة ، ومن الذين عبروا عن هذه الرؤية إلى جانب البيروني : مسكويه، والمطهر المقدسي.

تأثر البيروني بسمات عصره في مجال التفسير التاريخي؛ خاصة تلك النزعة العقلانية التي سادت عصره وظهرت واضحة في كل معالجاته تمنطق الأخبار وتكشف عن مظانها، وتقف على عللها في دقة وموضوعية وحياد ' وعندما درس الحضارات اتجه لتفسير التاريخ تفسيرا حضاريا ناقش فيه الاختلافات العقائدية وطبائع الشعوب وغيرها من الأسس الحضارية وظهر هذان الاتجاهان في التفسير التاريخي – العقلاني والحضاري- في كل مؤلفاته التاريخية منظرا لها في مقدمات كتبه تلك ومطبقا لها في ثنايا تلك الأعمال.

نظَّر البيروني لمبدأ الحياد والموضوعية في مقدمات كتبه التاريخية وطبقه في مؤلفاته التاريخية مبينا أنه بدون هذا المبدأ لن يستطيع المؤرخ الوصول للحقيقة التاريخية المنشودة.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية المطبوعة

1- البيروني ،محمد بن أحمد :الآثار الباقية (تحقيق د. برويز أذكائى ، طهران (د.ت)) ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة (دار المعارف العثمانية، حيدر آباد،1958م)
2- الذهبي: سير أعلام النبلاء(مؤسسة الرسالة، القاهرة 2001م) ،الجزء الثالث عشر.
3- الروذراوري، أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم (القاهرة (د.ت).
4- علي بن الجهم:ديوان علي بن الجهم(تحقيق:خليل مردم بك،دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2 1980م)
5- المطهر المقدسي: البدء والتاريخ (الثقافة الدينية، بورسعيد ب.ت)
6- ابن النديم : الفهرست (دار المعرفة، بيروت(د.ت))

ثانياً: المراجع العربية الحديثة والمعربة:

7- الزركلي: الأعلام ، دار العلم للملايين ط. 15 بيروت ، 2002 م.
8- عفت الشرقاوي : أدب التاريخ عند العرب (بيروت 1973 م)
9- عبد العزيز عزت: ابن مسكويه (القاهرة 1964م)
10- كامل محمد عويضة: ابن مسكويه ، سلسلة أعلام الفلاسفة، دار الكتب العلمية ، ط.1 بيروت 1993م.
11- محمود إسماعيل : سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ،طور الازدهار (4) الفكر التاريخي (دار سينا للنشر، ط1 القاهرة 2000م)

ثالثًا: المجلات والدوريات:

12- د. رياض حمودة: البيروني ونظرته إلى التاريخ(. مقال منشور بمجلة كلية الآداب ، جامعة بنها، العدد التاسع والثلاثون ، يناير 2015م).

List of sources and references

First: Arabic printed sources

1- Al-Biruni, Muhammad bin Ahmad: The Remaining Athar (Researched by Dr. Parviz Azkai, Tehran (d. T)), an investigation of what India has of an accepted saying in the mind or transmitted (Dar al-Maarif al-Othmani, Hyderabad, 1958).
2- Al-Dhahabi: The Life of the Flags of the Nobles (Al-Resala Foundation, Cairo 2001 AD), the thirteenth part.
3- Al-Rodhrauri, Abu Shuja': The Tail of Nations Experiences (Cairo (D.T).
4- Ali Bin Al-Jahm: Diwan Ali Bin Al-Jahm (investigated by: Khalil Mardam Bey, Dar Al-Afaaq Al-Jadeeda, Beirut, 2nd edition 1980 AD).

5- Al-Mutahhar Al-Maqdisi: Beginning and History (Religious Culture, Port Said B.T.).
6- Ibn Al-Nadim: Al-Fihrist (Dar Al-Maarifa, Beirut (d. T.))

Second: Modern and Arabized Arabic References:

7- Al-Zarkali: Al-Alam, House of Science for Millions, ed. 15 Beirut, 2002 AD.
8- Effat Al-Sharqawi: History literature among the Arabs (Beirut 1973 AD).
9- Abdel Aziz Ezzat: Ibn Miskawayh (Cairo 1964 AD).
10- Kamel Muhammad Oweida: Ibn Miskawayh, Series of Flags of the Philosophers, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, vol. 1, Beirut 1993.
11- Mahmoud Ismail: Sociology of Islamic Thought, Prosperity Phase (4) Historical Thought (Dar Sina Publishing, 1st edition, Cairo 2000 AD).

Third: Journals and periodicals:

12- Dr. Riad Hammouda: Al-Biruni and his view of history (article published in the Journal of the Faculty of Arts, Benha University, issue thirty-ninth, January 2015 AD).

Al-Biruni explains history
(362 AH / 973 AD - 443 AH / 1051 AD)

Mohamed Ahmed Omar Mohamed
(Master)Degree History Department
Faculty of Women for Arts, Science & Edu-Ain Shams University - Egypt
mohamedomarainshams@gmail.com

Abstract

The study deals with the problem of historical interpretation according to Al-Biruni (362AH/973AD-443AH/1051AD) and its distinction in this field. Interpretation, reasoning and interpretation according to Al-Biruni was influenced by the features of his time in the field of historical interpretation. Especially that rational tendency that appeared clearly in all his treatments weighing the historical news after its investigation, and standing on its causes in accuracy, objectivity and impartiality The research purifies Al-Biruni's expanding vision to include the entire universe. The commoner - in his view - is "obsessed with the sensible, alienating from the intelligible", and you see a kind of unification in all aspects of knowledge. Therefore, the human dimension appears clear in the development of his historical thought. Therefore, Al-Biruni can be considered a missionary and an applicator at the same time of the civilized vision of history, which was evident in the book "Achieving what India is saying," as it is a civilized history of India, comparing its civilization with the civilizations of other nations. In it, Al-Biruni presented a vision that looks at the different nations and peoples with a unified view, based on a common human presence in values and civilization, as he said, "All nations are equal in this sense."

Keywords: Abu al-Rayhan al-Biruni, historical thought, historical interpretation, the history of the Islamic East.